شرح متن قطر الندى

لفضيلة الشيخ أبي حذيفة محمود الشيخ حفظه الله

معهد الدين القيم بإشراف فضيلة الشيخ

أبي الحسن علي بن مختار الرملي حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛

فهذا أيها الإخوة بارك الله فيكم المجلس الثالث والثلاثون من مجالس شرح (قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام الأنصاري –رحمه الله تعالى- وقد انتهينا من منصوبات الأسماء.

اليوم سنتكلم عن مخفوضات الأسماء، هذا القسم الثالث، هنالك المرفوعات، وهنالك المنصوبات، وعندنا المخفوضات.

قال المؤلف –رحمه الله-: (باب مخفوضات الأسماء، قال: يخفض الاسم إما بحرفٍ مشتركٍ: وهو من وإلى وعن وعلى وفي واللامُ والباءُ للقسم وغيرِه - أو مختصٍّ بالظاهر - وهو رُبَّ ومُذْ ومُنْذُ والكافُ وحتى وواوُ القسمِ وتاؤُه) مخفوضات الأسماء على ثلاثة أقسام:

أولا: إما أن تُخفَض الأسماء بحرف؛ وهو حرف الجر.

ثانيا: أن تُخفَض الأسماء بالإضافة؛ هذا الذي يُقال فيه مضاف ومضاف إليه.

ثالثا: أن تُخفَض الأسماء بالتبعية؛ هذا الذي في باب التوابع كالبدل والعطف وغير ذلك.

اليوم سنتحدث عن خفض الأسماء بالحرف وبالإضافة، وسَنُرجِئ القسم الثالث إلى وقته إن شاء الله تعالى عندما نتحدث عن التوابع، لأن التوابع قد تأتي للرفع، أو للنصب، أو للخفض، هي تابعة، تابعة في الحكم، إذا كان المتبوع مرفوعا تكون مرفوعة، وإذا كان منصوبا تكون منصوبة، وإذا كان مخفوضا تكون مخفوضة، لذلك أرجأها المؤلف.

أولا: المجرور بالحرف؛ القسم الأول من مخفوضات الأسماء، وهي الأسماء التي تُخفض بالحرف هنا، قال: (يخفض الاسم إما بحرفٍ مشتركٍ: وهو من وإلى وعن وعلى وفي واللامُ والباءُ للقسم وغيرِه - أو مختصٍّ بالظاهر - وهو رُبَّ ومُذْ ومُنْذُ والكافُ وحتى وواوُ القسمِ وتاؤُه) هنالك حروف خافضة على قسمين:

القسم الأول: حروف خافضة مشتركة؛ أي يشترك فيها أن تَخفِض اسما ظاهرا، أو تخفض ضميرا.

القسم الثاني: حروف خفض مُختصة بالظاهر؛ أي لا تَخْفِض الضمائر، إنما تَخْفِض فقط الاسم الظاهر.

أما الحروف التي تخفض الاسم الظاهر والضمائر؛ حروف الخفض المشتركة هي سبعة، وتلك التي تَخفِضُ الأسماء ظاهرة فقط أيضا سبعة، قال: (يخفض الاسم إما بحرفٍ مشتركٍ: وهو من وإلى وعن وعلى وفي واللامُ والباءُ للقسم وغيرِه) هذه سبعة حروف مشتركة؛ تدخل على الاسم الظاهر تقول: (من المسجدِ)، وتدخل على الضمير تقول: (منه)، وهكذا دواليك بقية الحروف السبعة.

لكن كل حرف من هذه الحروف له معنى مختلف عن غيره؛ فأنا أستخدم (من) إما لبيان الجنس؛ أريد أن أُبينَ جنس الشيء، أو بدل (بعض)، أو للابتداء؛ ابتداء الغاية سواء كانت مكانية أو كانت زمانية، (من) هذه التي لبيان الجنس تستطيع أن تحذفها وتضع مكانها (ضمير مع اسم موصول) قال تعالى: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}[الحج:٣٠]، وهي لبيان الجنس في المناسبة، عندما قال تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} أي رجسٍ يريده الله في هذه الآية؟ جاءت(من) لبيان جنس الرِّجس الذي يتحدث الله عنه { مِنَ الْأَوْثَانِ}، علامتها احذف (من) وضع ضميرا واسما موصولا (فاجتنبوا الرِّجسَ الذي هو الأوثان) وضعت اسما موصولا وضميرا.

لربما لا أضع اسما موصولا فقط أكتفي بالضمير؛ إذا كان الجنس نكرة أكتفي بوضع ضمير، إذا كان الجنس معرفة لا يكفي أن أضع الضمير، بل أضع معه اسما موصولا {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ} (الرّجس) معرفة؛ فيه (أل التعريف) فوضعت بعدها {مِنَ الْأَوْثَانِ} تستطيع أن تُقَدِّرَ مكانها (الذي هو) اسم موصول مع كلمة (هو) الضمير.

لكن إذا كان الجنس نكرة وأريد بيان هذا الجنس أضع (من) ولا أُقَدِّرُ مكانها سوى الضمير، كقوله تعالى: { يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ}[الكهف:٣١] (أساورَ) جنس؛ هنالك أساور من حديد، أساور من ذهب، أساور من فضة، هذا جنس والجنس هو الذي يدخل تحته أنواع كثيرة، (الرِّجس) يدخل تحته أنواع كثيرة؛ الأوثان رجس، والميتة رجس، والدم رجس، أليس كذلك؟

وفي الآية {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} (الرّجس) كلمة جنس يدخل تحتها أنواع كثيرة، جاءت معرفة قَدّرتُ (الذي هو).

{ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} (أساور) جنس لكنها نكرة، وضعت (من) لبيان هذه النكرة (من ذهب)، نوع الأساور من ذهب، قَدِّرْ مكان (من) هو أو هي (أساور هي ذهبٌ).

هنالك (من) للتبعيض كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}[البقرة:٨] أي وبعض الناس، ولا يعني ذلك البعض قلة أو كثرة.

وأيضا للابتداء (جئتُ من البيتِ قاصداً المسجدَ)، (وأتموا الصيام من الفجر إلى الليل) (من) ابتداء زمان، والأولى ابتداء مكان. وهنالك أنواع أخرى لـ(من). – طبعا لا يوجد آية بهذه الطريقة وأنا كنت أريد الآية وإن كان صحّ مثلا ما ذكرته قبل قليل ولكن لا يصحّ لفظها كآية {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}[البقرة:١٨٧]، على كل حال المثال الذي ذكرته قبل قليل صحيح معناه ولكن ليس كآية-

(إلى) تأتي لانتهاء الغاية {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}[البقرة:١٨٧] انتهاء غاية زمانية، {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}[الإسراء:١] انتهاء غاية مكانية.

كذلك (عن) تأتي للمجاوزة قال تعالى: { يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}[يوسف:٢٩]، أي تجاوز عن هذا، هذا الذي قاله إما الشاهد من أهلها، وإما العزيز بعد القصة المعروفة. ولها معانٍ أخرى.

كذلك (على) أهم معنى لـ(على) الاستعلاء، كما قال تعالى:{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف:٥٤].

أما (في) فهذه للظرفية، كأنك تضع شيئا في ظرف، ظرف ومظروف، (الكتابُ في السيارةِ).

وعندنا كذلك (اللام) لربما يُراد بها المِلكية، أو الاستحقاق أو غير ذلك، (لمن الكتاب؟ الكتابُ لخالد) أي ملك له، (لمن الحمد؟ الحمد لله) فهو مستحق لجميع المحامِد، سبحانه جل في علاه.

أما (الباء) فلها معان ذكر منها عندي في الشرح الإلصاق، ومنها الاستعانة، وغير ذلك، تقول: (أمسكتُ بزيدٍ).

هذه الحروف السبعة كلها تدخل على اسم ظاهر، وتدخل على ضمائر، لذلك هي حروف خفضٍ مشتركة.

القسم الثاني: حروف خفضٍ مختصة باسم ظاهر؛ وهي سبعة كذلك (رُبَّ ومُذْ ومُنْذُ والكافُ وحتى وواوُ القسمِ وتاؤُه).

(رُبَّ) حرف جر شبيه بالزائد، وُضِع للتكثير أو التقليل بحسب القرينة (رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك) جاء بعده اسم ظاهر ويأتي بعده عادة نكرة، أو جملة كما قال تعالى: { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}[الحجر:٢]، ويجوز تخفيف الباء كما في قراءة نافع وعاصم (رُبَما)، ويجوز تشديدها (ربَّما) قراءة الباقون.

أما (مُذ و مُنذُ) يأتيان لجر اسم لبيان زمن معين (هل رأيت خالداً؟ لم أرَهُ منذ أمس) (مُنذ يوم السبت)، وقال عندي هنا في الشرح: يجوز أن تجر الاسم في (مُذ ومُنذ)، ويجوز أن ترفعه، تقول: (ما رأيتُه مُنذُ يومِ السبتِ)، وتقول: (ما رأيتُه مُنذُ يومُ السبتِ) على اعتبار أن (مُنذ ويوم) تصبح مبتدأ وخبر، يجوز ذلك، أو على ما ذكره المؤلف في البداية على أنها جارة، هذه جارة وتلك اسم مجرور ظاهر.

كذلك (الكاف) لا تدخل إلا على اسم ظاهر، ومن معانيها التشبيه، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}[الشورى:٣٢] الكاف: للتشبيه، الأعلامِ: اسم مجرور بالكسرة.

كذلك (حتى) تأتي ناصبة التي أخذناها في نصب الفعل المضارع، منهم من قال أنها تنصب بأن المضمرة على الوجوب على اعتبار أنها جارة، ولا يوجد (حتى) إلا أن تكون جارة، لكن بعضهم قال بل يوجد جارة ويوجد ناصبة، (حتى) الناصبة تنصب بنفسها { حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا

مُوسَى}[طه:٩١] يقولون هذه ناصبة بذاتها، بعضهم يقول بل هي جارة والنصب جاء بأن المضمرة على الوجوب، والمقصود (حتى رجوعِ) من أن المصدرية المضمرة مع الفعل المنصوب (حتى يرجعَ)، (حتى رجوع) مصدر، فَهنا لا فرق في أن تقول: هي جارة لاسم ظاهر، سواء كان هذا الاسم كلمة مفردة، أو كان مصدرا صريحا أو غير ذلك.

قال تعالى: { سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[القدر:٥]، وتقول: (أكلتُ السمكةَ حتى رأسِها) أي إلى رأسها.

كذلك (واو القسم) تدخل على الاسم الظاهر، وهذه للقسم (والله)، وتستطيع أن تُقسم باسم الله لفظ الجلالة (الله)، أو بأي اسم من أسماءه، أو بصفة من صفاته، ولا يجوز أن تُقسم بغير الله سبحانه وتعالى، تقول: (واللهِ، والخالقِ، وعزةِ الله وجلالِه) لكن لا تُقسم بغير الله، وهذه (الواو) تختص بالاسم الظاهر.

من حيث اللغة العربية تدخل (الواو) على أسماء وصفات غير اسم الله سبحانه وتعالى، وصفة غير صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن من الناحية الشرعية لا يجوز .

أما (التاء) فهي حرف قسم لا تدخل إلا على لفظ الجلالة (الله) لا غير، كقوله تعالى: {تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}[الأنبياء:٥٧]، {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}[يوسف:٨٥].هذا هو الجر بالحرف.

أما الجر بالإضافة وهذا القسم الثاني من الجر؛ خفض بالحرف وخفض بالإضافة، قال المؤلف –رحمه الله-: (أو بإضافةٍ إلى اسمٍ على معنى اللام كـ "غلامِ زيدٍ" أو مِن كـ"خاتمِ حديدٍ" أو في كـ "مكرِ الليلِ" وتُسمى معنويةً لأنها للتعريف أو التخصيص، أو بإضافةِ الوصفِ إلى معموله كـ"بالغَ الكعبةِ" و "معمورِ الدارِ" و "حسنِ الوجهِ" وتسمى لفظيةً لأنها لمجرد التخفيف).

الإضافة؛ عندما نأتي إلى الإضافة أي نريد مضاف ومضافا إليه، أريد بذلك أحد فائدتين: إما فائدة معنوية، أو فائدة لفظية، فائدة معنوية: أي أن الإضافة لفائدة في المعنى؛ تُغيِّر المعنى، وفائدة في اللفظ: الأمر يختص باللفظ.

الفائدة المعنوية إما أن تأتي بالإضافة للتعريف، أو تأتي للتخصيص؛ يكون المضاف نكرة فَتُعَرِّفُه، أو يكون المضاف معروفا فتُخَصِّصُه، تقول: (كتابُ خالدٍ) (كتاب) نكرة أي كتاب؟ كتابُ خالدٍ، أريد التعريف، حتى لا يشتبه الأمر، لكن من باب التخصيص أقول: (بكاءُ طفلٍ) البكاء معروف لكن بكاء مَن؟ خصِّص (بكاءُ طفلٍ).إذن أنا جئت بالإضافة لفائدة معنوية.

بينما إذا أردت أن أُضيف على شيء معروف موصوف، لا للتعريف ولا للتخصيص، فهنا يَستخدم العرب الإضافة للتخفيف؛ تخفيف اللفظ، بدل من أن تضع التنوين أو النون الإعرابية في الأفعال الخمسة النون مثلا، أو في جمع المذكر السالم، أو في المثنى، أحذف النون هذه؛ هذه نون إعرابية، بخلاف كلمة (العنوان) النون هذه ما هي؟ نون من الكلمة، ولكن (المسلمون) النون هذه إعرابية، أليس كذلك؟ فهذه النون أريد أن أحذفها، أخفف اللفظ، أو يوجد تنوين كما سنذكر أمثلة من باب تخفيف اللفظ أحذفها بالإضافة.

لذلك قال المؤلف: (أو بإضافةٍ إلى اسمٍ على معنى اللام كـ "غلامِ زيدٍ" أو مِن كـ "خاتمِ حديدٍ" أو في كـ "مكرِ الليلِ" وتُسمى معنويةً لأنها للتعريف أو التخصيص).

هذه الإضافة المعنوية على ثلاثة أقسام؛ لربما أن تكون الإضافة بمعنى (مِن) البيانية، عندما أقول: (خاتمُ حديدٍ) كأننا نقول: (خاتمٌ من حديد)، أو إضافة بمعنى (في) الظرفية (مكرُ الليلِ) أي (مكرٌ في الليلِ)، أو إضافة بمعنى اللام وهذه التي لا أُقَدِّرُ فيها لا (من) ولا (في)، فأُقَدِّرُ فيها (اللام)، (غلامُ زيدٍ) أي (غلامٌ لزيدٍ).

أما الإضافة اللفظية فكما ذكرت من باب التخفيف، أقول لك مثلا: (صانعُ المعروفِ مشكورٌ) أنا لم آتي بتعريف جديد، ولم آتي للتخصيص، أستطيع أن أقول: (صانعٌ معروفا)، ولكن من باب تخفيف التنوين؛ حَذْفِهِ قلت: (صانعُ المعروفِ) تخفيف باللفظ، بالنطق، تسهيل على اللسان، كما قال في المثال: (بالغَ الكعبةِ) تستطيع أن تقول: (بالغاً الكعبةَ) ولكن للتخفيف قال: (بالغَ الكعبةِ).

(معمور الدّارِ) تستطيع أن تقول: (معمورٌ دارُهُ)، (حَسَنُ الوجهِ) تستطيع أن تقول: (حَسَنٌ وجهُهُ) صفة مشبهة، وهذه تأتي على الأوصاف ،المقصود بذلك اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، لذلك جاء بـ(بالغ) على اسم الفاعل، و (مَعمور) اسم مفعول، و (حَسَن) صفة مشبهة.

قال المؤلف –رحمه الله-: (ولا تُجامِعُ الإضافةُ تنويناً ولا نوناً تاليةً للإعرابِ مطلقاً، ولا أل إلا في نحو "الضاربا زيدٍ، والضاربو زيدٍ، والضاربُ الرجلِ، والضاربُ رأسِ الرجلِ، وبالرجلِ الضاربِ غلامِهِ".)

أي يقول: إذا أضفتَ فلا تَجْمَع مع الإضافة تنوين، ولا نون إعرابية، ولقد ذكرنا ما هي النون الإعرابية، إذا وُجِد المضاف والمضاف إليه أُزيل التنوين، أو اختفى التنوين والنون.

وعادة كذلك (أل) التعريف، لأننا بالعادة لماذا نضع (أل المضاف إليه) في كثير من الأحيان؟ من باب التعريف، إذن احذف (أل) التعريف، لكن ليس دائما، أما التنوين والنون فدائما.

(جاء مسلمو الأعرابِ) لا يجوز أن تقول (جاء مسلمون الأعرابِ) لا بُدَّ أن تحذف النون، (رأيت كتابَ خالدٍ) لا يجوز أن تقول (رأيت كتابا خالدٍ) .

لكن (أل) التعريف لها أحوال يمكن أن تُحذَف ويمكن أن تبقى، لذلك قال في التنوين والنون (مطلقاً) (ولا تُجامِعُ الإضافةُ تنويناً ولا نوناً تاليةً للإعرابِ مطلقاً)، أما (أل) قال: (ولا أل إلا) يوجد استثناء، أو تقييد، قال: (في نحو "الضاربا زيدٍ، والضاربو زيدٍ، والضاربُ الرجلِ،) الحالات التي يجوز أو تبقى فيها (أل) مع المضاف إليه، مع أن الأصل حذف الـ(أل):

إذا كان المضاف مثنى أو كان جمع مذكر سالما وهذا ما جاء في المثال: (الضاربا زيدٍ) و(الضاربو زيدٍ)، أو إذا كانت (أل) التعريف في المضاف والمضاف إليه كما قال: (الضاربُ الرجلِ).

أو أن يكون المضاف إليه هو أيضا مضاف وله مضاف إليه، لذلك جاء في المثال الذي بعده (الضاربُ رأسِ الرجلِ) الضاربُ: مضاف، رأسِ: مضاف إليه وهو مضاف، الرجلِ: مضاف إليه، فعندنا مضافان، فلاحظ يجوز في هذه الحالة أن تبقي (أل) التعريف في المضاف الأول.

والحالة الخامسة التي ذكرها المؤلف: أن يكون المضاف إليه مضافا إلى ضمير يعود على لفظ مشتمل على (أل)؛ أي يكون عندنا مضاف ومضاف إليه، هذا المضاف إليه هو مضاف لماذا؟ مضاف لضمير، أو يعود على ضمير، هذا الضمير يشتمل على (أل)، أو يعود على لفظ مشتمل على (أل)، أعطيك مثال كما ذكر، قال: (مررتُ بالرجلِ الضاربِ غلامِهِ) الرجلِ: اسم مجرور، وضعت الـ(أل)؟ نعم، الضاربِ: مضاف إليه، لماذا أبقى (أل) التعريف عليها؟ ننظر إلى الذي بعده،(بالرجلِ الضاربِ) هذا مضاف وله مضاف إليه (غلامِهِ)، و(غلامه) هذا أيضا مضاف ومضاف إليه.

حتى ما نُخطئ (وبالرجلِ الضاربِ غلامِهِ) نأتي إلى كلمة (الضاربِ غلامِهِ) (الضارب) بعدها ماذا أتى؟ مضاف إليه أليس كذلك؟ غلام مضاف إلى الضارب وهي مضاف، والضمير مضاف إليه، إذن جئنا بمضاف إليه هو مضاف إلى ضمير(غلامه)، هذا الضمير يعود على لفظ مشتمل على (أل)، هذه (الهاء) تعود على ماذا؟ تعود على كلمة في الجملة (الرجل)، يقولون في هذه الحالة تبقى (أل) التعريف في كلمة (الضارب).

نتوقف عند هذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.